رواية «الحجر» هي أول عمل صدر عن دار الأمة العربية للنشر والتوزيع. تدور أحداث الرواية حول ناجى مهندس الكمبيوتر الذى سافر للحصول على منحة الدكتوراه ثم عمل وكيلاً لشركة يابانية تنجز مشروعًا بالحرمين الشريفين باعتباره مسلم ومتخصص في نفس مجال الشركة اليابانية وأنه غير مسموح دخول غير المسلمين إلى مكة. وعند عودته إلى مصر، تجنده عصابة للتهريب تعمل لحساب تاجر آثار بإيطاليا لديه قطعتين مسروقتين من الحجر الأسود ويريد إعادتهم للحكومة السعودية عن طريق التفاوض المباشر ويريدون من المهندس ناجي التعاون معهم وتدور الأحداث بعد ذلك.

تسرد الرواية حقائق تاريخية عن الحجر الأسود وتعرضه للاعتداء عبر التاريخ مع التعرض لمافيا التهريب وأساليبهم والحياة الشخصية لناجي ولنرى كيف سيتفاعل مع هذا الموضوع.

أردت بالرواية أن أرتفع بالمعنى الملموس للحجر المعروف للكعبة ليصل إلى معنى آخر غير ملموس يحمل بعدًا أدبيًّا ومعنويًّا وأيضًا سماويًّا: إنه معنى «المقدس». بداية الرواية ترصد مشهدًا تاريخيًّا صاغه المؤلف بطريقة بسيطة وشيقة في محاولة منه لتخيل اللحظة التي تجرأ فيها القرامطة على سرقة الحجر الأسود إمعانًا في الكيد للمسلمين واعتقادًا أن هذا يضرب دينهم ومعتقدهم في الصميم. ولم يعرف هؤلاء أبدًا أن الحجر الأسود وغيره من أية مظاهر ملموسة في الدين الإسلامي هي فقط تمثل أحد جوانبه ولا تمثله كله أبدًا، فهو دين اللارمز واللاملموس، هو دين البراح والاتساع والإله غير الملموس وغير المرئي، ولذلك خاب مسعى القرامطة ولم يفلحوا لا في الانتصار على المسلمين ولا في محو دينهم من الوجود كما كانوا يأملون.

ترصد البداية التاريخية للرواية –كذلك- قفزة تاريخية تقدم خلفية للأحداث المعاصرة التي ينتظرها القارئ، فهذه السياحة التاريخية بين عصر القرامطة في القرن العاشر وعصر الضابط البريطاني في القرن التاسع عشر الذى سرق قطعة من الحجر الأسود؛ من شأنه أن يلهب خيال القارئ بمصير القطعتين اللتين تجولتا عبر القرون بين مختلف الأيدي والجنسيات لتصلا في النهاية إلى يد السيد ماركو فيتال تاجر وزعيم كبير في مافيا التهريب. وتنتهى الرواية بمفاجأة حقيقية لا يعلمها الكثير في زمننا عن الحجر الأسود وهى وجود بعضا من قطع الحجر الأسود في تركيا وبعلم السلطات السعودية وإلى الآن.

الرواية بها مجهودا توثيقيا كبيرا ومخلصا في قراءة قصة الحجر الأسود عبر التاريخ، وقد أكدت هذا المجهود بذكرى المراجع التي لجأت إليها، إيحاء للقارئ بأن الرواية حدثت بالفعل.

د. عمر فكرى

مكتبة الإسكندرية